مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الثامنة – العدد العشرون – أكتوبر 2024م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

دور الحرس الثوري الإيراني في الفضاء الإعلامي.. الدعاية والإستراتيجية وسردية القوة

عبـــد الكريـــم رستمـــي

باحث في شؤون الشرق الأوسط والدراسات الإيرانية-
المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس

مستخلص:

أصبح لوســـائل الإعلام التقليدية والحديثة آلية فعالة في تشـــكيل الوعي العام، وتُوظف بعض الأنظمة هذه الآلية؛ من أجل فرض ســـرديتها وتحطيـــم أي خطاب مُخالف، ويعد الحرس الثوري الإيراني من أهم الجهات التي نجحت في استغلال وسائل الإعلام بكافة صورها التقليدية والحديثة، والحد من فاعليتها بوصفها فضاءً للتفاعل الاجتماعي والســـياسي، ليس من خلال الحجب وحســـب، بل من خلال السيطرة وتشكيل الاعتقاد العام، فكيف تمكّن الحرس الثوري من استعمار هذا الفضاء الإعلامي؟ وما هي إستراتيجيته وتكتيكاته في هـــذا المجال؟ وكيف نجح في تغيير الواقع من خلال هذه الإستراتيجية بل وتحقيق الضبط والســـيطرة الاجتماعية؟ ستحاول هذه الدراســـة أن تقدم إجابة عن هذه التساؤلات من خلال تقديم مقاربة مفاهيمية مناســـبة لموضوع الدراسة، وتحديد أنواع الإستراتيجية التي يتبعها الحرس الثوري ومحتواها، ونتائج هذه الإستراتيجية وتأثيراتها.

الكلمات المفتاحية:

إيران، الحرس الثوري، الإستراتيجية الإعلامية، وسائل التواصل الاجتماعي، العسكرة الإعلامية، إدارة الوعي.

Abstract

Traditional and modern media have become effective mechanisms for shaping public consciousness, and some regimes utilize these mechanisms to impose their narratives and dismantle any opposing discourse. The Iranian Revolutionary Guard Corps (IRGC) is one of the primary entities that has succeeded in exploiting media in all its traditional and modern forms, limiting its effectiveness as a space for social and political interaction — not only through censorship but also by controlling and shaping public belief. How has the IRGC managed to dominate this media space, and what are its strategies and tactics in this domain? How has it succeeded in changing reality through this strategy, thereby achieving social control and regulation? This study answers these questions by providing an applicable conceptual approach to the subject, identifying the types of strategies pursued by the IRGC and their content, as well as the results and impacts of these strategies.

Keywords: Iran, IRGC, media strategy, social media, media militarization, consciousness management.

مقدمة

دائمًـا ما أراد النظام الإيراني بسـبب بنيته «الأيديولوجية» السـيطرة على الفضاء العام والخاص للمجتمع الإيراني، وقد أدى الإنترنت والتوسع المتزايد في العلاقات الإنسانية في الفضاء الإلكتروني إلى خلق عالم جديد يفتقر إلى التجسيد المادي، وهو فضاء غير محدود جعل سردية النظام الإيراني تواجه تحديات حقيقية من حيث الخطاب، لدرجة أن الباحث صادف في أدبيات القادة السياسيين والعسكريين الإيرانيين في العقدين الماضيين مزيجًا مفاهيميًا جديدًا يسمى «الحرب الناعمة»، وبالتالي فإن مفهوم «الحرب» بالنسبة للنظام الإيراني أصبح لا يقتصر فقط على المجالات العسـكرية، بل يدخل في المجالات الثقافية والاجتماعية والعلوم والتكنولوجيا؛ ولذلك فإن «السيطرة على وسائل الإعلام» التي يمكن السـيطرة عليها، مثل الإذاعة والتلفزيون، والصحف، والمجلات، وحتى الكتب من خلال الرقابة والحجب، و«المكافحة من خلال الجيش السيبراني» في مجال وسائل الإعلام التي لا يمكن السيطرة عليها، مثل شبكات التواصل الاجتماعي-على الرغم من وجود الحجب- هي في الحقيقة واحدة من أهم أركان ميدان الحرب الجديد للحرس الثوري.

تجادل هذه الدراسة بأنه في حين أصبحت وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي والفضاء الإلكتروني بشكل عام امتـدادًا للفضاء الاجتماعي المادي، أو بمعنى آخر «امتدادًا للوعي» حسـب رأي ماكلوهـان (Herbert Marshall McLuhan)، فإن النظام الإيراني من خلال الحرس الثوري دائمًا ما حاول استعمار هذا الفضاء الاجتماعي، وبالتالي ستحاول هذه الدراسة تحليل دور الحرس الثوري الإسلامي في الفضاء الرقمي، وما يتبناه من إستراتيجية تغيير بناء الواقع، والسيطرة على البُعد السـردي، مع التركيز على إدارة الوعي الاجتماعي، وكيفية تشكيل الاعتقاد العام في اتجاه الأهداف الأيديولوجية للحرس الثوري، وذلك بهدف توفيـر أرضية لفهم أفضل لكيفية عمل الحرس الثوري فـي البيئة الإعلامية والافتراضية، وشـرح عملية التغيير في بنية الواقع مـن خلال التأكيد على تأثير الإسـتراتيجيات، وفي هذا الإطار يتم تناول إسـتراتيجيات النظام الإيراني في مواجهة وسـائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، التي تُعرف في الأدبيات الرسـمية للنظـام بالحرب المعرفية، وذلك للوصول إلى طبيعة إسـتراتيجيات النظام الإيراني وتكتيكاته في السيطرة على المعلومات وتشويه الحقيقة، وكذلك استخدام وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي لترسيخ وتعزيز خطابه السلطوي، فضلًا عن أساليب الإقناع وصناعة المُخاطب، وكذلك السيطرة الاجتماعية.

أولًا: مدخل مفاهيمي

يُسـهم توضيح مفاهيم الدراسـة في اختيار إطار نظري مُحدد لتحليل الجوانب المختلفة لموضوع البحث ودراستها، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى ما يلي:

1. الحرب الناعمة / القوة الناعمة

القوة الناعمة مفهوم جذب الكثير من الاهتمام في العلاقات الدولية، وغالبًا ما يتم تعريف هذا النوع من القوة بأنــه القدرة على التأثير في الآخرين، مــن خلال الجذب والإقناع بدلًا من الإكراه أو القوة، وهذا الشكل من القــوة هو عكس القوة الصلبة، التي تعتمد على القوة العسكرية والاقتصادية للتأثير على الدول الأخرى[1]، ويمكن استخدام القوة الناعمة بوصفها أداةً لخلق الانســجام والتعايش، فضلًا عن الترويج لقيم بلدٍ ما[2]، وتعتمد القوة الناعمة على القدرة على تشــكيل رغبات الآخرين وانتماءاتهم، وطبيعة هذا النــوع من القوة تقوم على جذب الشخص أوالمجتمع المستهدف وإغوائهم وافتتانهم[3].

2. استعمار الحقيقة

«استعمار الحقيقة» هو مفهوم اســتخدمْتهُ لوصف البيئة الإعلامية الافتراضية الحالية في إيران، ويشــير هذا المفهوم إلى هيمنة الأنظمة ذات الطبيعة الأيديولوجية والسلطوية على وسائل الاتصال الجماهيري، وخاصة وسائل الإعلام، والأهداف الرئيسة لهذه الهيمنة هي التحكم في المحتوى، وتشكيل معتقدات اجتماعية مبنية على فهم أيديولوجي خاص.

3. العسكرة الإعلامية

الجمهورية «الإسلاميــة» هي نوع من حكــم «أصولي» ديني ذو طبيعــة أيديولوجية- عســكرية، بمعنى أنها «أيديولوجية» دينية، تدعي أنها تغطي جميع المجالات الاجتماعية والثقافيــة، وفي الوقت نفســه «أيديولوجية» مدعومة بقوة عســكرية، وخاصةً الحرس الثوري، وهــذا الدعم متطــرف لدرجة أن مفهوم «الحرب» بالنســبة لــه لا يقتصر على المجالات العسكرية فحســب، بل يدخل أيضًا في المجالات الثقافية والاجتماعية، فضلًا عن العلــوم والتكنولوجيا، وفي الواقع فإن الســردية الصلبة للجمهوريــة الإسلامية أكثر حساسية تجاه المستويات «الأكسيولوجية[4*]» والقيمية من المصادر الوطنية والإقليمية، ولذلــك فإن مفهوم «الحــرب» وحالة «المؤامــرة الحربية» يدخل أيضًا على المســتوى الثقافي[5]، وهو ما يشار إليه في السردية الرسمية بـ«الحرب الناعمة»[6]، وعندهم أن لها أيضًا بعدًا غائيًا، وهو مصطلح أبعد بكثير مما يُقصد به في العلوم العســكرية، لدرجة أنه أصبح أحد أكبر اهتمامات المرشــد الإيراني خامنئي في العقدين الأخيرين، فنجده يصف الحرب الناعمة في خطابٍ له في بدايات تســعينيات القرن الماضي علــى النحو الآتي: «الحرب الناعمة هي غزو ثقافي، بل هي غارةٌ ومجزرة ثقافية»[7]؛ ولذلك فإن «الســيطرة على وسائل الإعلام» التي يمكن الســيطرة عليها مثل الإذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات، وحتى الكتــب، من خلال الرقابة والحذف، ومن خلال «النضال عن طريق الجيش الســيبراني» في مقابل وسائل الإعلام التي لا يمكن الســيطرة عليها مثل شبكات التواصل الاجتماعي- على الرغم من وجود الحظر- هي في الواقع إحدى أهــم ركائز الحرب الناعمة لدى الحرس الثوري، ولا تقتصر الإستراتيجيات والتكتيكات المختلفة للجمهورية الإسلامية في الحرب

الإعلامية الناعمة على إدارة المعلومات والسيطرة عليها فحسب، بل تشمل أيضًا التلاعب بالمعلومات وتشويهها وتزييفها، واختلاق معلومات مضادة.

وبالطبـع ليس الهدف الرئيس من هذه الدراسـة الولوج إلى تفاصيـل هذه التكتيكات والإسـتراتيجيات، بل الهدف هـو كيف أن تلك السـردية أوجبت مثل هـذه التكتيكات والإسـتراتيجيات، وطبيعة هذه السـردية يمكنها تحديد مدى اتّسـاع رقعـة العمليات الإعلامية للحرس الثوري، وأخيرًا تُمكن من فهم واضح لأهدافها.

ولا شك أن أسـاس هذه «الأيديولوجية»، بوصفها «أيديولوجية» دينية شمولية تؤمن بأن المذهب الشيعي الإثني عشري بحسب رواية ولاية الفقيه التي جاء بها آية الله الخميني مؤسـس الجمهورية «الإسلامية»، يشـمل الهندسـة الأيديولوجيـة لجميع المجالات الأخلاقية للحياة الاجتماعية، وهنا لا يقتصر معنى الأخلاق على الأخلاق المهنية فحسب، بل منظومة الأخلاق ككل، أي بمعنى أن «علم الأخلاق» يجب عدُّه مرادفًا لـ«العلوم الإنسانية» برمتها، وحتى إن الجمهورية الإيرانية لديها ميل إلى توطين العلوم الطبيعية والرياضية من منطلق «التوطين» وفق التراث الإسلامي، إذ تحاول في بعض العلوم مثل «الطب» وضع «الطب التقليدي» في مواجهة «الطب الحديث»، وهذا الأمر يسـبب «التشاؤم التام» للجمهوريـة الإيرانية تجاه «العلوم الإنسـانية» وروح العالم الحديث برمتها، والتشـاؤم النسبي تجاه العلوم الطبيعية والفنون والتكنولوجيات، وخاصة فكرة «التنمية»، والنتيجة أن أي «محاكاة» ومدخل لهذه الأفكار، خاصة عبر وسائل الإعلام، سيُعد «تهديدًا» يستلزم شكل الحرب في بُعدها الناعم، ولهـذا تعد كافة الاحتجاجات المدنية «مؤامرة من العدو» تُعزى إلى عناصر خارجية[8].

4. أفق التهديد

إن نطاق «التهديدات» وأفقهـا التي تتعرض لها أيديولوجية الجمهورية الإسلامية يتجاوز بكثير ما رأيناه في «الأيديولوجية» الماركسـية اللينينية في الاتحاد السـوفييتي السابق، فبالنسـبة لهم يمكن عد طبقات مثل الاقتصاد والتاريخ وما إلى ذلك «تهديدات» بالنظر إلـى الاختلافات مع الأيديولوجية الليبرالية أو المحافظة للكتلة الغربية، إذ يحاولون إزالتها من الحياة اليومية لمواطنيهم، ولكن بالنسبة للجمهورية الإيرانية، فهذه التهديدات تشمل أصغر أمور الحياة اليومية حتى القضايا الفنية في علوم مثل القانون «خاصة قضايا حقوق الإنسان»، والسياسة، والأدب، والفلسفة وغيرها. فكل شيء من شرب الكحول إلى ارتداء الملابس والعديد من أنواع العلاقات بين الرجال والنسـاء، التي تظهر في وسـائل الإعلام العالمية، إلى المناقشـات الفلسفية المتعلقة بالأفكار والأديان الأخرى وخاصة العلمانية، كُلها تُعد تهديدات، لذلك فإن دائرة «التجريم» في الجمهورية الإسلامية واسعة جدًا، وبما أنها لا تستطيع أن تُغطي هذا النطاق الواسع، فقد ركزت أكثر على مراقبة البيانات الإعلامية الثقافية وإدارتها، ومعاقبة البعض بشكل انتقائي واستعراضي لإظهار سلطتها.

ومـــن ناحية أخرى، فإن وســـائل الإعلام في إيـــران تتصرف «غير مُباليـــة» بالتطورات الثقافية الداخلية وتتجاهلهـــا، وعلى الرغم من أن العديد من نماذجها منســـية في الحياة اليومية، إلا أنها تستمر في عرضها، ما يسبب انفصالًا ثقافيًا عن الحياة اليومية في الأماكن الرســـمية مثل المدارس أو الإدارات، خاصة أن كثيرًا من الأشخاص المرتبطين بالجمهورية «الإسلامية» لديهم «حياة مزدوجة»، وهذا الصـــراع الثقافي عندما يصل إلى صراع لحد الانفجار مثلما حدث في انتفاضة «المرأة، الحياة، الحرية»، فإنه يلجأ إلى القمع الاجتماعي الشديد الذي لا يتوانى عن ارتكاب أي مجزرة.

لقد فقدت وســـائل الإعلام الرســـمية عمليًا جمهورها الحقيقي، ويحاول الجمهور العام متابعة تدفق المعلومات عبـــر الأقمار الصناعية أو الفضاء الافتراضـــي، وبالتالي فالنظام فـــي الخطوة الأولى يبادر لحجب هذه الفضاءات على نطاق واســـع، ولكن بما أنه لا يحصل على نتيجة، نجده ينشر «جيشه السيبراني» في الفضاء الإلكتروني؛ لتحريف المعلومات وتشويه تدفقها، كما أنه ينتج محتوىً إعلاميًا للاستهلاك الخارجي، ليتمكن أيضًا من تغيير الرأي العام العالمي، رغم أنه يتعارض مع المحتوى المخصص للاستهلاك الداخلي.

ومع اندلاع ثورة 1979م، اســـتولت هذه الطائفة على الســـلطة أخيـــرًا، وحاولت فرض أســـلوب حياتها بطريقة راديكالية على جميع الطبقات والأطياف والديانات الأخرى، وفي هذه الأثناء كان الإعلام من الأشـــياء التي أصبحت موحـــدة تمامًا، وتتحرك وفق المنظومة القيميـــة لهذه الطائفة، وكان الحرس الثوري الإيرانـــي عمليًا قوة القمع الداخلي لأي رد فعل واحتجاج، وكانت بقية المنظمات تسير معه بانسجام تام.

5. جهاد التبيين

إن قضيـــة أفق التهديد والحرب الناعمـــة مهمة للغاية، لدرجـــة أن خامنئي بدأ في صناعة المفاهيم الخاصة بها، واستخدم مصطلح جهاد التبيين لها، وفي عام 2021م، أصدر رسميًا أمـــر جهاد التبيين، وعـــدّه واجبًا طارئًا ومفروغًـــا منه[9]، وهو يراه ضرورة ضـــد ما يعتقد أنه تحريف للحقائق، فيقول: «اليوم هناك سياسة مؤكدة لوسائل الإعلام المعادية للجمهورية الإسلامية والإسلام، وهي أنهم منهمكون باستمرار في تحريف الحقائق والكذب، ويخلطون الأخبار التي تخص الجمهورية الإسلامية بكل أنواع الأكاذيب (الأكاذيب المهنية، الأكاذيب التي جلســـوا وعملوا وعولوا عليها)، وفـــي المقابل يجمّلون الوجه القبيح الفاســـد لنظام الطاغوت، ويُخفون آلاف الجرائم والخيانات التي ارتكبوها»[10]، وبحســـب تعريف خامنئي، فإن جهاد التبيين يعنـــي القيام بأعمال علمية وبحثية وتنويرية في الفضاء الإعلامي، يكون هدفها مواجهة وساوس العدو، وبيان الأمور التي تحتاج إلى توعية داخل السلطة الإيرانية[11].

ومن وجهة نظر المرشد الإيراني، فإن جهاد التبيين في مجال قضايا مختلفة مثل: فاعلية النظام، وتحقيق الاقتصاد المقاوم، ومكافحة خطر النفوذ، وإضعاف معتقدات الناس تجاه المُثُل العليا للثورة، وفكر المقاومة، وأســـلوب الحياة وغيرها من القضايا التي يجب تناولها

في هذا الجهاد، ومن هـذا المنطلق، يُعد جهاد التبيين من وجهة نظـر النظام الإيراني أداة إستراتيجية للحفاظ على الأمن الثقافي، وزيادة الوعي الشعبي، وتعزيز الهياكل الاجتماعية والاقتصادية ضد الحرب الناعمة.

6. تشكيل المؤسسات

إن موضوع الإعلام والفضاء الافتراضي مُهم للغاية بالنسـبة للنظام، لدرجة أنه بدأ في بناء مؤسسـات مختلفة، ووفقًا لآخر الإحصائيات، تم رصد ميزانية قدرها 15 ألف مليار تومان لهذه الغاية[12]، والمؤسسات الثلاث الرئيسة التي تتحكم في الفضاء الإعلامي والافتراضي في إيران، تشـمل المجلس الأعلى للفضاء الافتراضي[13]، والحرس الثوري، ومجموعة عمل تحديد المحتوى الإجرامي[14]، ومن خلال تنفيذها سياسات مختلفة، تتخذ هذه المؤسسات إجـراءات مثل حجب المواقـع، ومراقبة الاتصـالات، والهجمـات الإلكترونية، واعتقال الناشـطين عبر الإنترنت، ويعمل المجلس الأعلى للفضاء الافتراضـي كهيئة صُنع القرار بشأن سياسات الفضاء الافتراضي، ويستجيب هذا المجلس لآراء النظام، وينفذ سياسات مختلفة، بما في ذلك حظر المحتوى ومراقبته، ويلعب الحرس الثوري[15]، بصفته مؤسسـة عسـكرية دورًا في أمن الفضاء الافتراضي، وتشـارك هذه المؤسسـة بفاعلية في مراقبة الاتصالات، وحماية الأمن السيبراني للنظام.

كمـا أن مجموعة العمل المعنيـة بتحديد أمثلة المحتوى الإجرامي هي المسـؤولة عن تحديد معاييـر وتعريفات المحتوى الإجرامـي وجمعها، وتحدد -وفقًـا لمعايير النظام- هـذه المفاهيم التي قد تعد ضد النظام أو ضارة به، وتشـجع هذه المؤسسـة عبر موقعها الإلكتروني المواطنين على كشـف المواقع الإجرامية، وأعلنت أنه «حتى الآن تم إرسـال ما يقرب مـن نصف مليون تقرير من الناس إلى هذه الأمانـة حول عرض محتوى إجرامي، وطلبات بتصفية مواقع الويب المختلفة، وتمّ إحالتها إلى الخبراء المعنيين للمراجعة»[16].

وبالتعاون مع هذه المؤسسـات الثلاث، ينفذ النظام الإيراني سياسـات واسعة النطاق للسـيطرة على الفضاء الافتراضي وإدارته، ما يترك آثارًا واسعة على التطورات الاجتماعية والثقافية في هذا البلد.

7. إستراتيجية استعمار الحقيقة

قدم ماك لوهان، وهو منظر بارز في مجال الإعلام، تفسـيرًا رائعًا للعلاقة بين التكنولوجيا والفكرة والحقيقة في كتابه «فهم وسـائل الإعلام»، وهو يعتقد أن كل تقنية جديدة أو كل فكرة هي في الواقع «امتدادات» للحواس البشـرية أو للجسـم ذاتـه، ويوضح هذا الرأي التأثير العميق للتكنولوجيا على حياتنا ووعينا[17]، وفـي هيكلية الجمهورية الإسلامية، يعد الجسـد والذاكرة الاجتماعية مكانًا لزراعـة «الأيديولوجيا» والترويـج لها، وتصبح هذه البيئة في مواجهة الأدوات الإعلامية، وخاصةً في مؤسسـة الحرس الثوري، ساحةً لتنفيذ إسـتراتيجيات استعمار الحقيقة، فالحرس الثوري من خلال السيطرة على وسائل الإعلام،

يســـعى إلى تحقيق أفكاره في ترســـيخ مرجعية الحقيقة وتعزيزها، لدرجة أن القائد العام للحرس الثوري حســـين سلامي في تصريح له قال: إن «هذه القوة العســـكرية لديها ألفي كتيبة في الفضاء الافتراضي تنتج المحتوى وتنفذ العمليات»[18].

ثانيًا: أنواع الإستراتيجيات الإعلامية للحرس الثوري لاستعمار الحقيقة

تعتزم الجمهورية الإسلامية من ناحية الحفاظ على ســـلطتها فـــي الفضاءات الإعلامية، خاصةً للاســـتهلاك المحلي، وهـــو ما تفعله مـــن خلال الفلترة والرقابـــة الصارمة وإدارة الانتقادات الصورية والاســـتعراضية، باســـتخدام جميع أنواع المغالطات المنطقية، مثل مغالطة التشبيه الخاطئ، ومن ناحية أخرى تحاول أن يكون لها صورة مقبولة في الفضاءات الخارجة عن ســـيطرتها ووسائل الإعلام الدولية، ولهذا السبب هناك فرق كبير بين إعلامها الدولي وإعلامها الوطني، ويوضح الرســـم البياني الآتي الترتيب الإســـتراتيجي لوســـائل الإعلام من حيث الأدوات:

ويمكن تصنيف الإســـتراتيجيات التي تخلق من خلالها أجواء اســـتعمارية للحقيقة عبر الوسائل التي تسيطر عليها، على النحو الآتي:

1. وسائل الإعلام ذات الاتجاه الواحد

وسائل الإعلام الرسمية (الإذاعة والتلفزيون والصحف الرسمية): وهي التي تتمثل مهمتها في نقل الســـردية الرسمية بشكل مباشر، وتخضع لرقابة صارمة، وتحت إشراف مباشر من الحرس الثوري، ولا يوجد تساهل في وسائل الإعلام هذه، ويجري فيها عدد محدود جدًا من «الانتقادات الاســـتعراضية» أو «المناظرات الصورية» بشكل مؤقت، على سبيل المثال في أوقات الانتخابات، لجذب الناس إلى صناديق الاقتراع، وهذه الانتقادات:

أ. موجهـــة للأفراد أو الحكومات، ولا تطال أبدًا النظام أو شـــخص المرشـــد، أو الهياكل العامة أو الحرس الثوري نفســـه، وهذه الانتقادات لها طبيعة اختزالية فيما يخص القضايا ذات المســـتوى الأدنى التي لا تؤدي إلا إلى خلق الإثارة والأمـــل الكاذب، وأحيانًا تجعل من الأشخاص تروسًا للدفاع، وبالتالي يتظاهرون بأنهم مجتمع ديمقراطي.

ب. هذه الانتقادات مؤقتة، وسرعان ما تُنسى، ولا تترك أثرًا.

ج. هذه الانتقادات تبتذل الانتقاد في حدّ ذاته، وتدمّر أهميته.

د. أحيانًا نجد هذه الانتقـــادات تظهر بالمظهر «الراديكالي» فـــي أوقات الأزمة، ولكنها في الحقيقة يطرحها منتقد سُـــمح له بطرح هذه الانتقـــادات الراديكالية من خلال الإذاعة والتلفزيون، ولها هدفين:

الأول: التضحيـــة بمصلحة صغيرة من أجل مصلحة أكبر في أوقات الأزمة، ولإبعاد الرأي العام عن أمور أكثر جديّة.

الثاني: إيجـاد الأمل الكاذب لدى المجتمع، لينتبه الرأي العـام إلى أمرٍ آخر ثانوي، وهذا المنتقد بعد مدة من الاشتهار خلال الفضاء الافتراضي يقوم بتغيير كلامه وتعديله، وبذلك يسيطرون على موجة الانتقادات ويوجهونها.

2. وسائل الإعلام شبه الرسمية

وتشمل: المطبوعات والمجلات ذات التوجه «الإصلاحي»، وقنوات الأفلام والمسلسلات المنزلية وما شـابه ذلك، وعلى الرغم من عدم وجود مكان لها في الفضاء الإعلامي الرسمي، فإنه مسـموحٌ لها ببث رسـالتها إلى حد ما، وبالطبع تُوبخ من حين لآخر، وفي الحقيقة لقد أخذ النظـام بعين اعتباره منح هؤلاء مجالًا للمناورة، حتـى يتمكنوا إلى حد معيّن من إبقاء العقول الأكثر انتقادًا في المجتمع منشـغلة بالقضايا القابلة للنقد، التي يمكن السـيطرة عليها، وفي الحقيقة من يديرون هذه الوسـائط لا يتقاضون أجورهم مباشـرة من النظام، ولكن حُددت دائرة من المناورة لهم للسير في الإطار نفسه، وفي الواقع هدفهم هو السيطرة على الحماس الاجتماعي، وإلقاء شعور زائف بالحرية، وتراعي وسائل الإعلام هذه الخطوط الحمراء، ولكنها تتجاوز أحيانًا الخطوط الصفراء لإثارة الشعور بالحرية لدى عامة الناس.

وجدير بالقول، إنهم يتجاوزون هذه الخطوط الصفراء في وسائل الإعلام الدولية الرسمية الموجهة للمخاطب الأجنبي أيضًا، فمثلًا يكون لباس مقدمات القنوات الدولية ومكياجهن أكثر انفتاحًا وأكثر أناقة وعصرية، لكنهن في النهاية ما زلن يرتدين الحجاب.

وفي الحقيقة، إن تيار «الإصلاحات» فـي الجمهورية الإسلامية لم يكن تيارًا إصلاحيًا حقيقيًا قادرًا على تعديل الأمور وتصحيحها تدريجيًا، لكنه لعب في الواقع دور صمام الأمان لتحرير الطاقات والحماس، وعندما وجدت هذه التيارات «الإصلاحية» القليل من الرغبة في الإصلاح الحقيقي، تم حذفها وقمعها بشـدة، وكانت النتيجة أن دُمّر صمام الأمان هذا أيضًا، وحوّل الناس شـعاراتهم الاحتجاجية، التي كانت موجّهة نحو المستويات الثانوية، نحو أسـس النظام وفواعله الحقيقية، وأدى ذلك إلى رد فعل حاد جدًا من النظام الإيراني، تجلى في القمع الشديد والقتل على نطاق واسع.

3. وسائل الإعلام المغايرة

حاول الحرس الثوري الإيراني بمختلف الحيل الترويج لسرديته في مواجهة وسائل الإعلام التي هي في الحقيقة مُخالفة ومضادة للنظام، على سـبيل المثـال، قام من خلال الخبراء بترويج كلمات سـرديّته باستخدام تركيز هذه الوسـائط على حرية التعبير، وكانت وسائل الإعلام الصفراء المُخالفة من بين الإمكانيات التي استغلتها الجمهورية الإسلامية لتوجيه الرأي العام إلى القضايا الهامشـية، وبشكل عام يسـتفيد النظام بشكل مسيطر عليه من وسائل الإعلام ذات الخطابات المُماثلة، حتى لو كانت متعارضة قليلًا، وعلى سبيل المثال، فهو ينقل إلى حدٍ ما انتقادات اليساريين طالما أنها تشوّه الكتلة الغربية والعالم الأوروبي.

4. وسائل الإعلام ثنائية التوجه

مع تطوّر الإنترنت، خرجت وسائل الإعلام من الوضع الأحادي التوجّه، ووجدت الإمكانية للمشاركة في الاتجاهين، في الخطوة الأولى، حاول النظام حذف شبكات التواصل الاجتماعي الأكثر انتشارًا، مثل «فيسبوك وتويتر وتيليغرام وواتساب وحتى إنستغرام»، من خلال الحجب على نطاق واسع، ولكن بطبيعة الحال أدّت الضرورة والحاجة لهذه الوسائط في حياة الناس اليومية إلى أن يتوجه الناس إلى الاستخدام الواسع النطاق لتطبيقات كسر الحظر (VPN)، ولذلك فقد قام النظام باستمرار باختبار العديد من الإستراتيجيات والتكتيكات في هذه الفضاءات ذات الاتجاهين للتحكم في تدفق المعلومات، ومنها:

أ. **الخبير المباشر:** يعني أنه يستدعي كوادره الأيديولوجية الملتزمة للدفاع المباشر عن الجمهورية الإسلامية في الفضاء الافتراضي.

ب. **الخبير والناشط غير المباشر:** أي أنه يستدعي القوى التابعة له على شكل مواطنين عاديين، حتى لو كانوا منتقدين لبعض القضايا، وذلك ليحقنوا الأفكار الأساسية للنظام.

ج. **نشر الأفكار وإثارة المشكلات:** أي أنهم يحاولون إنتاج الأفكار والمفاهيم والخطابات التي تشغل الرأي العام ببعضه البعض وتعزيزها، وتصرفه عن انتقاد النظام بأي شكل من الأشكال، مثل تعزيز العصبيات ونزاعات العرقيات مع بعضها البعض، وخلق المخاوف القومية وما إلى ذلك.

د. **الموجات الإخبارية-المتأزمة:** من الإستراتيجيات المهمة جدًا للنظام الإيراني خلق أخبار مضللة صاخبة، وذلك عندما ينتبه الرأي العام إلى أزمة حقيقية، والتي تتحول أحيانًا إلى تضحية مخيفة، مثل إطلاق النار على الطائرة الأوكرانية، وذلك بعد اغتيال قاسم سليماني، الذي كان بإمكانه أن يؤدي إلى أزمةٍ شرعيةٍ حقيقية، وتغيير اتجاه المناورة في الفضاء الإلكتروني نحو أخبار هذه الأحداث الثانوية.

هـ. **أمواج التعليقات:** من الأعمال الأخرى الإعلامية تربية كوادر كتائب البسيج والحرس الثوري السيبرانية، التي تتمثل مهمتها في التعليق على نطاق واسع أسفل المنشورات المهمة ذات المشاهدات الكثيرة، وذلك من أجل تشويهها أو تحويل الانتباه.

و. **أنواع الحوارات:** أي إنشاء أو اختراق غرف الحوار بهدف التعرف، والسيطرة على الأذهان، وتحريف الحقائق، وحقن الأفكار بشكل مباشر أو غير مباشر.

ز. حشد أشخاص للدفاع بشكل ضعيف عن المعارضة، ورسم رسومات كاريكاتيرية لهم.

ح. التشويه والاغتيال الإعلامي للشخصيات بكافة أنواع التوقيعات أو «الميمات» والمحاكاة الواسعة النطاق.

ط. الحرب النفسية والتشويه النفسي للكتاب والشخصيات البارزة من خلال الشتائم على سبيل المثال.

ي. تعزيز الأجواء الصفراء حتى تضمحل في خضمها الأخبار السياسية.

ك. إنشاء أجواء من الرعب من خلال عمليات الاعتقال والعقوبات الإعلامية الثقيلة.

ل. خلق متاهة السكوت، وإيجاد حالة من الاكتفاء بالتفرّج عن طريق تفريغ الطاقات في الفضاء الافتراضي في المستويات الثانوية، وخلق منطق رمي الكرة في ملعب الآخر.

م. صناعة أساطير مزيفة ومسيطر عليها في الفضاء الافتراضي.

ن. تشويه النقد والفكاهة من خلال اختزال طبيعة الفكاهة في التهريج، حتى في القضايا المهمة، وجعل الطبيعة الفكاهية النقدية ركيكة للغاية، على سبيل المثال في برامج مهران مديري في التلفزيون، ومحاكاة هذا الأسـلوب في فضاء الإنترنت، ما يسبب اقتصار النقد على انتقاد سلوك الموظفين في المكاتب.

ثالثًا: الإستراتيجيات الإعلامية للنظام من حيث المحتوى

يُشير الرسـم الآتي إلى الإستراتيجيات الإعلامية للنظام الإيراني من حيث إنتاج المحتوى، وسنتناول كل واحدة من هذه الإستراتيجيات لاحقًا:

1. المحاكاة (Representation)

المحاكاة هي إنتاج المعنى من خلال الأطر المفاهيمية والخطابية التي تُشكل البنية التحتية للمفاهيم الاجتماعية، وهذا يعني أن المعنى يتم إنتاجه من خلال الإشارات، وخاصة اللغة، واللغـة هي النافذة التي نتواصل من خلالها مع العالم، وهي خالقة المعنى للظواهر المادية والأساليب الاجتماعية، وهي ليسـت مجرد وسيط مُحايد لصياغة المعاني والمعرفة حول العالم، ولكن الظواهـر الاجتماعية والدينية والسياسـية وغيرها دائمًـا ما تدخل مرحلة التفسـير لجعل هذه الظواهر ذات معنى من خلال شـبكة اللغة، ولذلك فإن ما يسـمى بـ «الحقيقة» ليس خارجًا عن عملية المحاكاة[19].

وتُعد السـيطرة على مجال المحاكاة مـن خلال المراقبة والتحكم فـي إنتاج المحتوى والأخبار على مسـتوى وسـائل الإعلام الوطنية والمواقع الحكومية وشـبكات التواصل الاجتماعي، من العناصر الأولى التي يسـتخدمها الحرس الثوري للدخول إلى بنية الحقيقة والتلاعب بها؛ لأن العالم يتم إنشاؤه وإعادة بنائه من خلال المحاكاة[20].

وكما نعلم، فإن الحقيقة ليست موجودة بطريقة ذات معنى، والمحاكاة هي أحد الأساليب الفعالة لإنتاج المعنى، لأن المعنى ليس واضحًا أو شفافًا في ذاته، وهو لا يبقى ثابتًا مع مرور الوقت من خلال المحاكاة، والمعنى غير مسـتقر أو زلق[21]. والصراع الرئيس للحرس الثوري في إيران، هو في الواقـع نوع من الصراع حول المعنى، لأن المعانـي لا بد أن تجد مفهومها حسب ما تريده السلطة المسيطرة.

ويتبع الحرس الثوري الإيراني في سياسة المحاكاة عدة إستراتيجيات محددة، وسنجيب عن عدة أسئلة ناجمة عن هذه الإستراتيجيات لاحقًا، ويسعى إلى الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها هذه الإستراتيجيات، وهي أسئلة مهمة للغاية.

أ- من الذين تسيطر محاكاتهم؟

ب-مـــن الذي يمكنه (لديـــه القوة) لمحـــاكاة الحقيقة، أو لديه ســـلطة على المفاهيم الاجتماعية على نحو ما؟

ج-من الذين يجب استدراجهم للسكوت حتى تسيطر هذه المحاكاة؟

د-من الذين يجب إسكات أصواتهم حتى تسيطر هذه المحاكاة؟

إن الرقابة لمعارضـــي النظام الإيراني وتصفيتهم وإبعادهم وســـجنهم، هي الإجابة التي قدمها الحرس الثوري على الأســـئلة المذكـــورة أعلاه خلال العقود الثلاثة الماضية[22]، وفي إســـتراتيجية تغيير بنية الحقيقة، يحاول الحـــرس الثوري دائمًا تقديـــم شكل جديد وفقًا لتقســـيماته المفاهيمية والأيديولوجية من خلال التدخّل في بنيـــة الحقيقة ومراجعتها، وفـــي الحقيقة يجب أن يتم نقل الصورة إلى المجتمع من منظور يمكن أن يمثل واقع النظام المنشود للمجتمع من خلال القنوات الإعلامية، وتحقيق هذا الهدف يتم من خلال المحاكاة الزائفة وتغيير الدلالات.

2. المحاكاة وتغيير الدلالات

وبما أن وسائل الإعلام هي المؤسسة الأكثر شـــمولًا لإنتاج المعرفة والوعي وتوزيعهما في العالم الجديد، فيمكن عد محتواها مصدرًا قويًا للمعنى حول العالم الاجتماعي، حيث تعد المحـــاكاة الإعلامية مهمة من حيث أنها تُشكّل المعرفـــة والاعتقاد العام، لذا فإن المحاكاة الإعلامية ليست صناعة محايدة للمعنى، لأن أي محاكاة متجذرةٌ في الخطاب والأيديولوجية التي تتم محاكاتها، فعلى ســـبيل المثال نجدها تصنع من الخطاب الإيراني الشـــيعي وهما طرفا القوميـــة الإيرانية معنى بطريقة مـــا، ومن ثم تُعيد إنتاج العلاقـــات التي تتوافق مع خطابـــه الأيديولوجي وتحافظ عليها، بمعنى آخر، تنتج الـــدلالات نوعًا من العلم والمعرفة تُفيد لإنشاء علاقات السلطة واســـتمراريتها في الإطار الأمني للحرس الثوري والمنظمات الخاضعة لقيادته، بحيث يكون كل معنى مســـتخدم في الخطاب الإعلامي للنظام الإيراني نابع من علاقات السلطة، وفي الوقت نفسه من توسيع تلك العلاقات وتحكيمها.

يعتقد معظم المنظرين في مجال الإعلام، من خلال تبنيهم نظرة تكوينية حول المحاكاة والدلالـــة، أن الظواهر في حد ذاتها ليســـت قادرة على الدلالة، ولكـــن معنى الظواهر لا بد أن تتـــم محاكاته من خلال الثقافة، ودور الحرس الثوري والأجهزة الســـيبرانية التابعة لهذه المؤسسة هي الوساطة بين الدلالات والمعاني التي يتم إيصالها إلى المستوى الاجتماعي، بعبارة أخرى، إنهـــا تُعيد تكوين ما حدث من خلال عمليـــات التوصيف وصناعة المفاهيم واســـتبدالها، ولا شك أن العالم موجود بعيدًا عن المحاكاة التي تجري عنه، ولكن ليصبح له معنى فهذا رهنٌ بمحاكاته، لذلك يمكن القول إن المحاكاة هي وسيلة نصنع من خلالها معنى للحقيقة، إذا قبلنا أن المعنى ليس له طبيعة ثابتة ومضمونة، ولكنه ينشأ من محاكاة خاصة للطبيعة في الثقافة، فيمكننا أن نســـتنتج أنه لا يمكن لمعنى أي شـــيء أن يكون ثابتاً، وفي الحقيقة، إن معنى كل شيء يأتي دائمًا من سياقٍ ما، ويخضع لعوامل أخرى، ويتبع لعلاقات

القوة المتغيرة، على سـبيل المثال عد قاسم سليماني، القائد السابق لفيلق القدس، وعلي خامنئي، في خطاباتهما في أوائل القرن الحادي والعشرين، أن الافتخار بالحكومة الأخمينية مجرد وهـم، وقامت أجهزة الدعاية بالترويج لذلك على نطاق واسـع في الداخل من خلال وسـائل الإعلام، ولكنهم بعد بضع سـنوات فقط أشـادوا في خطاباتهم بالهوية الإيرانية والتاريخ القديم[23]، ولذلك فإن المحـاكاة الثقافية والإعلامية والتلاعب بالمعاني ليس أمًرا محايدًا، بل يمتزج بعلاقات القوة لإنتاج المعاني المرجعية في المجتمع ونشرها.

3. محاكاة المفاهيم وإضفاء الطابع السلبي عليها

يتم إنتاج المحاكاة وتوزيعها في سياق المعاني مثل الفطرة السليمة، لكن هذا الوضع يخضع لإدارة وسـيطرة نظام سـلطة يُعطي الشـرعية لبعض المعاني دون غيرها، فتسود بعض الأفكار والمعاني ويُسـتثنى الباقي، كما أن سيطرة الحرس الثوري على الإعلام وإنتاج آلاف الناشـطين الإعلاميين والافتراضيين، يؤدي إلى طرح العديد من الأفكار والقيم ووجهات النظر المرتبطة بالفهم الأيديولوجي الإيراني الشـيعي للحكم، سـواء في مجال السياسة الداخلية أو الخارجية، على أنها الفطرة السـليمة أو الطبيعية، وبعبارة أخرى ما يتم تقديمه ليس الحقيقة، بل مُحاكاة الحقائق التي يرغب بها الخطاب الإعلامي للحرس الثوري.

إن العالـم الذي تصوره وسـائل الإعلام، مثل العالم الذي نعيش فيه ونشـعر به، عبارة عـن مجموعة ثقافية منظمة من «المقولات» أو «المفاهيم العامة»، نحن ندير العالم من خلال صناعة المفاهيم أو تصنيف المفاهيم[24]، ويقوم أسلوب صنع المعنى هذا على عملية «أيديولوجية»، وبعبـارة أخرى في عملية تصنيف الظواهر، فـإن الصور النمطية العقلية التـي يُمليها المجتمع هي المهمة، وليـس تجربتنا وفهمنا المباشـر للظواهر، والوصمات المفاهيمية مـن قبيل مقاومة العدو، والمومس، والمثليّ، وغيـر ذلك، تزودنا ببنية العالم «الأيديولوجي» الذي يتم عرضه في وسـائل الإعلام، ويـدل على موقف ذلك الإعلام من الطريقة التي تُنظّم العالم على أسـاس تلك الآراء والقيم. على سـبيل المثال الصورة التي ينقلهـا جهاز الدعاية عن الحرية الاجتماعية في الغرب تُنقَـل للمجتمع على أنها عبارة عن فجور وسـقوط أخلاقي، وأي رغبة في مفهوم الحرية الاجتماعية تتحول إلى وضع أخلاقي سـلبي من خلال وصمها[25]، أو على سـبيل المثال ما يتعلق بمفهـوم التنمية وما حدث في العقديـن الأخيرين في دول الخليج العربية، نجد أن التنمية والحكم القائم على القانون في هذه الدول، يجري نقله للمجتمع من خلال وسـائل الإعلام بعـد محاكاته وصبغه بالطابع السلبي، لدرجة أنه في محاكاة مفهوم التنمية، توصف بأنها حالة استعمارية من قبل الدول الغربية، فعلى سـبيل المثال، عد المرشد الإيراني علي خامنئي في خطاب ألقاه عام 2017م أن بناء الأبراج والمطارات في الإمارات بمنزلة تراجع ونوع من التخلف[26]، وهذه المواجهة في صبغ المفاهيم بالسلبية ستؤدي في النهاية إلى نوع من المقاومة لدى اللاوعي الاجتماعي

فـــي تقبّل الأفكار الحديثة، لدرجة تبدو فيها أي مواجهة ســـلبية أو أي قـــرار تتخذه الهيئة الحاكمة الصلبة في إيران بخصوص المجتمع أمرًا طبيعيًا.

4. المحاكاة والسردية

جـــرى تناول عبارة «الحرب هي حرب الســـرديّات» على نطاق واســـع في ســـياق الحرب الإعلامية وأجهـــزة الدعاية في إيران، لدرجة أن علي خامنئي عبّر عن أهمية هذه المســـألة بهـــذه الطريقة بقوله: «أنتم اســـردوا حقائق مجتمعكم وبلدكم وثورتكم، إذا لم تســـردوها فسيسردها العدو. إذا لم تسردوا الثورة، فسيسردها العدو»[27].

هذا المصطلح يُشير إلى التوجّه الذي يؤكد أهمية السيطرة الدقيقة وتجميع المعلومات في الفضاء الإعلامي، بعبارة أخرى الحرب لا تدور في ميدان المعركة العسكرية فحسب، بل تستمر أيضًا في الفضاء المعلوماتي والإعلامي.

وفي هذا السياق، تُعد إجراءات النظام الإيراني الرامية لتشكيل السرديات وتدوينها التي تتفق مع نظريات هذا النظام وأهدافه مصيرية للغاية، ومن خلال تبني هذه الإستراتيجية، تهدف الجهود إلى الحفاظ على الصورة الإيجابيـــة لخطاب الثورة الإسلامية وأهدافها في أذهان العامة وتعزيزها.

وبعبـــارة أخرى فهذه الجملـــة لا تُمثل مبدأً في الحرب الإعلامية فحســـب، بل هي أيضًا رمز للإســـتراتيجية العامة لجهاز الدعاية في إيران، الذي يهدف إلـــى الحفاظ على الرغبة الشـــعبية بأهداف النظام تحت أي ظرف من الظروف، لدرجة أن هذا الهدف جعل مسؤول العلاقات العامة في الحرس الثوري يُعلن في عام 2011م عن تنظيم 21 ألف مراســـل فخري داخل الباسيج، وقال إن هذا العدد من الصحافيين يتعاونون مع الحرس الثوري والبسيج في المجالات الثقافية[28].

الثقافة هي نظام من القصص أو السرديات التي يتم إنتاجها بشكل مكثّف، وتلعب دورًا وسيطًا بين الوجود والوعي بالوجود، وبالتالي تساعد كليهما، ووسائل الإعلام بصفتها أكثر رواة القصص انتشارًا، لها دور أساس في زرع الأيدولوجيات والقيم والمعتقدات المشتركة، وفي الحقيقـــة فإن الفضاء الاجتماعي البيـــن ذاتـــي (intersubjectivity) هو دائمًا هدف خطاب الحرس الثوري لبث السردية وتوزيعها.

السردية هي نموذج ثقافي معرفي بمنزلة نوع من النسخة العامة والمبسطة للتجربة البين ذاتية في العالم، تشمل النماذج الثقافية المعرفية على وجه التحديد جميع المعلومات التي يمتلكهـــا أبناء ثقافة ما، وتلك المعلومات تجعل من الممكن تنســـيق أفعالهم ومعتقداتهم وقيمهم وأعرافهم وتفسيرها وتوجيهها، والسرديات هي أُطر وخرائط معرفية يفسر الإنسان من خلالها الواقع، والنقطة المهمة في الحرب الســـردية التي يمارسها الحرس الثوري، هي أن الرواية تدل على رؤية صاحبها، لأنه في إستراتيجية تغيير بنية الحقيقة، هناك مقولات وقوالب لغوية يعكـــس اختيارها رؤية أو وجهة النظر المفروضـــة من قبل خطاب الحرس

الثوري، لأن القرار الذي يتخذه الناس في الحياة الاجتماعية، يعتمد على ما يدور في أذهانهم، والذي ينبع بدوره من الصورة أو الفكرة التي خلقتها وسائل الإعلام وسيطرة الحرس الثوري على السردية.

5. إدارة الوعي

تحدث قادة الحرس الثوري الإيراني مرات عديدة عن حرب الوعي واسعة النطاق في مختلف خطاباتهـم[29]، وهي الحرب التي تُعـرف في أدبيات الجمهورية الإسلامية باسـم «الحرب المعرفية»، وتتم إدارة هذه الحرب من قبل النظام على مستوى السياسة الداخلية من خلال الدخول في بنية الحقيقة وإعادة بنائها، وقد أشرنا إلى هذا في الرسم البياني «الإستراتيجية والمنهج والهدف» من هذه الدراسـة، لأنه في عملية تفسير الظواهر الاجتماعية، يستفيد الأشـخاص من طرق مختلفة لتحقيق فهـمٍ أفضل للبيئة المحيطة بهـم[30]، وتتشكل هذه التفاسير، سـواء في المجال السياسي أو الاجتماعي، بناء على تصورات ومعتقدات فردية، وسلوك الناس، ليس فقط على المستوى السياسـي، بل أيضا على المستوى الاجتماعي، ويعتمد على كيفية فهمهم وإدراكهم للحقائق.

العوامل الرئيسية المؤثرة في تكوين سلوك الأفراد هي نوع الإدراك والأفكار والمعتقدات المتأصلة في أذهانهم، وترتبط هذه المعتقدات والتصورات ارتباطًا وثيقًا بالموضوعات أو الأهـداف التي يدركها الناس، كما أن الأرضية التي يحدث فيها الإدراك تلعب دورًا مهمًا في تكوين هذه المعتقدات؛ لذا فإن السـيطرة على الأرضية مثل شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، والمحتوى، هما عاملان مصيريان في إدارة الوعي من قبل الحرس الثوري.

وفي عملية إدارة الوعي، يسـتخدم الحرس الثوري أدوات مختلفـة، ومن هذه الأدوات العبث بالحقيقة والمحاكاة والتلاعب بالمعاني وصبغ المفاهيم بالطابع السلبي، وتُستخدم هذه العمليات على مستوى السياسة الداخلية من أجل السيطرة على التصور العام وكسب تأييد الناس، ولذلك فإن فهم الناس العميق للبيئة المحيطة بهم وسـلوكهم، لا يعتمد فقط على الوعي الفردي، بل يعتمد أيضًا على كيفية استخدام المؤسسات والأجهزة لأدوات إدارة الوعي.

ويلعب التلاعب ببنية الحقيقة والسـيطرة على السـردية دورًا مصيريًا في إدارة وعي الأفراد، ولهذه العمليـة تأثير كبير على فهم الأفراد وإدراكهـم لمختلف القضايا من خلال تغيير المعلومات والأحداث وإعادة النظر فيها، ويمكن لتكتيكات مثل اختيار مجموعة من الحقائق، وتجاهل أجزاء من الأحداث، أو إنشاء ترتيب زمني مختلف، أن تُغير الصورة العامة بطريقة تقود الناس إلى فهم محدد.

ومن خلال السيطرة على السردية، تُصبح لدى المؤسسات والأجهزة القدرة على تقديم مفاهيمها ووجهات نظرها إلى المجتمع، ولهذه السـردية تأثيـر مُحتمل على الوعي العام، ويمكن أن تشكل المسار الفكري للناس بشأن القضايا الاجتماعية والسياسية، كما أن هذه

السـيطرة تؤثر على الوعي بتركيزها على قضايا محددة، وتحديد الأولويات، وتشـجيعها التفكير في اتجاه محدّد.

كما يُشير اسـتخدام مفاهيم مثل «مصفاة الحقيقة» و«وسـائل الإعلام المؤثرة» إلى تأثير المؤسسـات في عملية تكوين الوعي، وأخيرًا، فإن الجمع بين التلاعب ببنية الحقيقة والسيطرة السردية، هي عملية متعددة الجوانب ومؤثرة في إدارة الوعي الجماعي وتشكيل الرأي العام.

خاتمة

تُعِد الجمهورية الإسلامية المجال الإعلامي ساحة معركة، وتحاول تعزيز قيم الثورة ومثلها من خلال صناعة المفاهيم، وإنشـاء المؤسسـات في المجال الإعلامي، وتعد أي خطاب خـارج إطار قيم الثورة خطابًا للعـدو، وتدخل معها في أجواء هجوميـة، وقد اختارت لهذه الحرب الناعمة إستراتيجية استعمار الحقيقة.

وفي عملية اسـتعمار الحقيقة، تسـتخدم الهياكل الحاكمة للنظام الإيراني وعلى رأسها الحـرس الثوري أدوات الاتصال الجماعي لتعزيز سـلطتها والحفاظ عليها، وتشـمل هذه الأدوات وسـائل الإعلام والتلفزيـون والإذاعة والإنترنت، وباسـتخدام هذه الأدوات، يتم تنظيم المعلومات والآراء والمحتويات الثقافية، بحيث تُقدم المعتقدات والأيديولوجيات السائدة على أنها واقع المجتمع.

تؤدي هذه السـيطرة تدريجيًا إلى حدوث تحول في الفهـم الاجتماعي، ومن خلال هذه التغييرات في أدوات الاتصـال الجماعي، يتم توجيه الأفراد إلـى معتقدات وقيم جديدة، ولا شـك أن اسـتعمار الحقيقة بوصفها أداة سـلطة، له تأثير كبير على تشـكيل الفضاء الأيديولوجي والاجتماعي، ويمكن أن يكون له تأثير عميق على الرؤية العالمية الجماعية.

إن المركز والنقطة المحورية التي يستخدمها الحرس الثوري في الإستراتيجية الإعلامية والمحاكاة هو الخطاب الأيديولوجي الشيعي-الإيراني، ويسعى الإعلام في هذه البنية إلى تقديم صور وأخبـار تتوافق مع مبادئ صياغة هذا الخطاب وقيمهـا، وتأتي هذه المحاولة للتكيف مـع المفاهيم الدينيـة وإيجاد ارتباط وثيـق بين المعلومات المنشـورة والقيم الطائفية-القومية، من أجل السـيطرة على الوعي العام وتعزيز الهوية الشيعية-الإيرانية للمجتمع، وفي هذه البنية يُسـتخدم الإعلام كوسيلة لتشـكيل الدور الثقافي والاجتماعي وتحديده، لتنشغل بترويج القيم والالتزامات الدينية والوطنية.

وبالنظر للتكتيكات الدعائية التي يسـتخدمها النظـام الإيراني، وخاصة من قبل الجهاز الدعائي التابع للحرس الثوري، يمكن ملاحظة أن هذا الجهاز يسعى إلى خلق جو أيديولوجي خـاص، وإيجاد مفهوم للمقاومة فـي مواجهة تأثير المفاهيم الحديثـة، كما هو الحال في العالم الواقعي، إذ يسـعى من خلال تشكيل الجماعات الشـيعية، إلى خلق صورة مثالية للنضال والمقاومة بالتلاعب بالمعاني والمفاهيم، ويسـتخدم في الإستراتيجية الإعلامية

تكتيكات مـن قبيل انتقاء جزء من المعلومات، وترتيب الأولويات، والتعميمات الواسـعة للتأثير على أذهان المجتمع الإيراني والسيطرة عليها.

ومن ثَّم يحاول هذا النهـج الدعائي الحفاظ على خطابـه «الأيديولوجي» وتعزيزه من خلال إيجاد غطاء «أيديولوجي» قوي وزيادة حجم الأكاذيب، ولا تسـاعد هذه العملية على تأسيـس النظام «الأيديولوجي» وتعزيزه للنظام الإيراني فحسـب، بل تقلل أيضًا من تأثُّر الناس بالأفكار الحديثة والمفاهيم الغربية، وتروّج للمقاومة في وجه هذه المفاهيم.

المصادر والمراجع

(1) Vuving, Alexander, The Logic of Attraction: Outline of a Theory of Soft Power, a paper presented at the American Political Science Association meeting in Toronto, September 3, 2009, accessed: October, 8. 2024, https://2h.ae/SOnG

(2) William A. Callahan.Identity and security in china: the negative soft power of the china dream, politics, (Sage Journals, Volume 35, Issue 3–4, March 16, 2015), https://2h.ae/oUyU

(3) لمزيد من الاطلاع انظر:
Joseph Samuel Nye Jr.Soft Power: The Means to Success in World Politics (New York: Public Affairs, 2004).

(4) الإكسيولوجيا يراد بها: العلم الذي يبحث في ما هو(قيّم) و(ثمين) و(جديد)، وتكون الفلسفة المتصلة به هي (فلسفة القيم) أو (نظرية القيم)، فالقيمة هي: كل ما له شأو في التصور وفي الفعل لدى الأفراد والجماعات.

(5) "لقد قلت في وقت ما بأنهم يهاجموننا ثقافياً، وهذا صحيح والله يعلم إنه صحيح. البعض لا يفهم ذلك. يعني أنهم لا يرون المشهد. من ينظر إلى المشهد، يعلم ما الذي يفعله العدو. ويعلم أنه هجوم، ويا له من هجوم!" (خطاب خامنئي خلال لقائه بأعضاء مجلس الثورة الثقافية –1991م).

(6) الهدف النهائي في الحرب الناعمة هو الهدف في الحرب الصلبة نفسه، يعني السيطرة وانهيار نظام سياسي، لكن أدوات هذا الأمر مختلفة. فإن كان إسقاط نظام سياسي يمكن تحقيقه في الحرب الصلبة من خلال احتلال الأرض، وبالتالي ينهار النظام الدفاعي والأمني لبلد ما، فإن المحاولات في الحرب الناعمة تتجه نحو التأثير على المعتقدات والقيم لشعب ما، وتحدي الفكر وطريقة إدارة البلد التي تمنح النظام السياسي هويته. في حال نجح العدو في الإسقاط، فهو سيحقق نجاحًا في الحقيقة من خلال نزع الشرعية والثقة عن النظام السياسي.

(7) زهرا قاسمي، تبيين مفهوم جنگ نرم در انديشه رهبر جمهوري إسلامي، فصلنامه حبل المتين، (دوره دوم، شماره 3 و4، تابستان وپاييز/ 1392 هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 7 أكتوبر 2024م، https://2h.ae/Wkzs

(8) على سبيل المثال، وصف المرشد الإيراني خامنئي في خطابه في 12 أكتوبر 2023م. خلال لقائه الأعضاء الجدد في مجمع تشخيص مصلحة النظام، الأحداث الجارية في البلاد، بـ"الاضطرابات المتفرقة" وأنها "تخطيط سلبي وأخرق من العدو في مواجهة التطورات والحركات الكبيرة والمبتكرة للشعب الإيراني". وهذه القضايا "ليست مسألة عفوية داخلية. بالطبع، ربما استخدموا بعض المجالات، لكن إجراءات العدو، مثل الدعاية ومحاولة التأثير الفكري وإيجاد الحماس والتشجيع وحتى تعليم طرق صنع المواد الحارقة، أصبحت الآن واضحة تماماً". موقع مكتب خامنئي، الصمود هو الحل الوحيد للعداوات، والأحداث الصغيرة لا ينبغي أن تلهي المسؤولين عن الإعمار، (12 أكتوبر 2022م)، تاريخ الاطلاع: 7 أكتوبر 2024، https://2h.ae/GhzU

(9) خبرگزاری بین‌المللی قرآن (ایکنا)، جهاد تبیین در بیانات رهبر انقلاب اسلامی، (20 تیر 1401هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024م، https://iqna.ir/fa/about

(10) khamenei.ir، بیانات در دیدار مداحان اهل بیت علیهم السلام، (1400/11/03)، تاريخ الاطلاع: 7 أكتوبر 2024م، https://farsi.khamenei.ir/speech-content?id=49448

(11) خبرگزاری بین‌المللی قرآن (ایکنا)، جهاد تبیین در بیانات رهبر انقلاب اسلامی / مرجع سابق.

(12) ديجياتو، پیشنهاد دولت برای بودجه سال 1402 وزارت ارتباطات: 15,6 هزار میلیارد تومان، تاريخ الاطلاع: 6 أكتوبر 2024، https://2h.ae/HcSk

(13) تم تأسيس المجلس الأعلى للفضاء الافتراضي بتاريخ 7 مارس 2012م. بأمر من علي خامنئي.

(14) تم تشكيل مجموعة عمل تحديد المحتوى الإجرامي في عام 2008م. بموجب المادة 22 من قانون الجرائم الإلكترونية الذي كان قد أُقِرَ في نفس العام، ويرأسها مدعي عام إيران.

(15) تم إنشاء هذه المؤسسة العسكرية رسميًا في مايو 1979م. بأمر من آية الله الخميني قائد الثورة، لقمع الثورة المضادة وحماية مكتسبات الثورة. وتحولت هذه المنظمة تدريجياً إلى تحالف كبير ومتشعب موجود في جميع مجالات إيران. وقد أدت هذه المكانة الخاصة التي يتمتع بها الحرس الثوري إلى تحويله إلى المؤسسة الأكثر مشاركة في الرقابة على الإنترنت وقمع المدوّنين.

(16) گران بدون مرز را قادر، دشمنان اینترنت –إیران: سپاه پاسداران انقلاب اسلامی، شورای عالی فضای مجازی، کارگروه تعیین مصادیق محتوای مجرمانه، (12/ 03/ 2014هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 7 أكتوبر 2024، https://2h.ae/cIlt

(17) Marshall McLuhan, Understanding Media: The Extensions of Man (1st ed.), (New York: McGraw Hill, 1964), accessed: Oct. 7, 2024, https://2h.ae/RDrh

(18) في الوقت الحاضر يتولى الحرس الثوري أكبر مشاريع إنتاج المحتوى والعمليات النفسية في الفضاء الافتراضي، ومن أهم المؤسسات التابعة له مؤسسة "سراج". منذ عام 2008م. وصعاداً أعلن قادة هذه المؤسسة العسكرية مراراً عن تنظيم كتائب افتراضية في الفضاء الافتراضي هدفها محاربة "الحرب الناعمة"، ويُنفق سنوياً مليارات التومانات على هذه الكتائب الافتراضية التي غالباً ما تتمركز في مقرّات البسيج والمساجد، ويمارس أعضاؤها نشاطهم من المنزل، راجع: ایندیپندنت فارسی، فرمانده سپاه: دو هزار گردان سایبری سازماندهی کرده‌ایم، (15 شهریور 1401هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 5 أكتوبر 2024، https://2h.ae/rWVM

(19) Chris Barker, Emma A. Jane, Cultural Studies Theory and Practice, SAGE Publications Ltd; 2004).

(20) Ben Calvert, Neil Casey, Bernadette Casey, Liam French, Justin Lewis, Television Studies: The Key Concepts, (Routledge: 2002), P200 .

(21) Stuart Hall, Christophe Jaquet et Kolja Lindner, Signification, représentation, idéologie (Althusser et les débats poststructuralistes, no 48, novembre 2012,1991), accessed : Oct. 8, 2024, https://2h.ae/voyR

(22) . في مارس 2013، نشرت منظمة مراسلون بلا حدود تقريرًا عن اليوم العالمي لمكافحة الرقابة الإلكترونية، حيث أُطلق فيه على إيران، والصين وسوريا والبحرين وفيتنام، تسمية الدول الخمس المعادية للإنترنت. ووضعت منظمة مراسلون بلا حدود المركز الوطني للفضاء الإلكتروني في إيران على قائمة المؤسسات القامعة للفضاء الإلكتروني في العالم، ووصفت أنشطته بأنها "خطر واضح على حرية الرأي والتعبير المنصوص عليها في المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان". وأيضًا، أدرج بيت الحرية في قائمته لعام 2022 النظام الإيراني على قائمة أسوأ الدول من حيث حرية الوصول إلى الإنترنت. وفي عام 2022 أيضًا، فرض النظام الإيراني الرقابة الأكثر صرامة على الإنترنت في إيران.

(23) موقع youtube.com، أنصار كليپ، 17.رهبر انقلاب: افتخار به هخامنشیان توهم است، (23 نوفمبر 2021)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024، https://2h.ae/sWxq

(24) Eoin Devereux, Understanding the Media, (London; sage, 3 ed., 2003), accessed: Oct. 7, 2024, https://2h.ae/rkCw

(25) تسنیم نیوز، آمار تکان دهنده از تجاوز به دختران وزنان در آمریکا، (27 دی 1401هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024، https://2h.ae/vThs

(26) خبرآنلاین، فیلم | رهبرانقلاب: امروز بلندترین برج منطقه در بی‌عُرضه‌ترین کشور است!، (2 اسفند 1396 هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 7 أكتوبر 2024، https://2h.ae/bBpU

(27) دفاع مقدس، جنگ روایت‌ها در اندیشه رهبر معظم انقلاب اسلامی / اگر روایت نکنید، دشمن روایت می‌کند، (01 دی 1400هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024، https://2h.ae/YuUs

(28) رادیو فردا، یک مقام سپاه پاسداران: 21 هزار خبرنگار افتخاری در بسیج به کارگرفته خواهند شد، (مهر 17, 1390 هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024، https://2h.ae/vgsT

(29) وکاله ایسنا، وارد جنگ ادراکی وشناختی با دشمن شده ایم، (11 / 07 / 1401 هـ ش)، تاريخ الاطلاع: 8 أكتوبر 2024، https://2h.ae/DIqt

(30) Robert S. Feldman, Robert A. Baron, Social Psychology: Understanding Human Interaction, (Allyn and Bacon, 1974).